

الفصل الأول

واحد يشبع إحساس الشاعر بنفسه، وقسم الناقد الشطرين إلى مجموعة من الدلالات الخاصة بكل كلمة ثم حصر الثنائيات الضدية المتفاعلة وصعد بنا فى النهاية إلى تصور كلى عن البيت وألمح فى الوقت نفسه إلى أن هذا التصور إنما يقع فى منطقة احتمالية ليفتح المجال لكل الاجتهادات الممكنة، وهذه أيضاً من سمات البنيوية المهمة، أنها ليست سوى منهج تجريبي يكشف عن الجدل بين أشياء الوجود . لقد أثبت الناقد أن وجود الفعل - الذى يدل على الفاعلية والحركة - فى قلب الجملة الشعرية لهو دليل على مركزيته ليفيض من حيويته على البيت كله وأثبت كما من المعانى المتجادلة التى توازى جدل الحياة نفسها.

ومن المهم أن نشير إلى أن الرؤية الجدلية التى عالج بها الناقد بيت المتنبي لا تتوقف على الممارسة النقدية التى تم تطبيقها على البيت الشعرى وحسب، بل إن هذا البيت الشعرى سيكون منطلقاً لفهم تجربة الشاعر كلها، تلك التجربة المميزة لتى تجسد صوتاً جماعياً [يعبر عن الضمير القومى والنموذج المثالى للإنسان العربى].

لقد كان بيت المتنبي هو البؤرة الأولى التى تظل تنفتحت وتمتد دلالاتها إلى ما لانهاية، بل لقد انتقل الناقد من تجربة المتنبي إلى تجربة شعراء آخرين مثل طرفة بن العبد وأبى نواس وأبى تمام، وظل التوسع يزداد حتى وصل بنا الناقد إلى مناقشة الشعر العربى برمته وقد عد المتنبي شاعر العربية الأول على مر العصور وليس عبثاً [أن تختزن الذاكرة الجماعية له من الأبيات أضعاف ما تحتفظ لغيره، فهو الذى استطاع فيما يبدو أن يستثمر الخواص الأثروبولوجيه للإنسان العربى، ويبلور عالمه المثالى فى أقمار صغيرة أطلقها فى سماء اللغة فاحتلت مدارها فى الأفاق المرئية. ومع أن هذا الإنسان يجور عليه التاريخ ويجور عليه الزمن غالباً، وقد سكن البادية والحضر، وانتقل عبر المراحل المختلفة من إقطاعية ورأسمالية، وما زال يعيشها فى آن واحد، إلا أن القرار العميق لوعيه حتى الآن يظل متقلناً من قبضة الزمن، فلا يحلو له إلا أن يسكن الأسطورة، ويصدق حرفية الرمز، ويبيع الدنيا بأكملها من أجل كلمة حلوة تأسره فيعبدها، وهو الذى أنتجها].

بل إن الناقد فى رحلة توسعه اللانهائية تلك يعطينا درساً آخر من دروس الفن فقد أثبت من خلال عمله أن الفن لا يكمن فى شكل مستقل عن المضمون، أو حتى يقلل من قوة هذا المضمون، بل إن الحياة الواقعية والصراعات الاجتماعية